الفصل السادس والعشرون

نكبـــة المحظيين

بعض الرجال القديسين ذوي العقول القليلة كانوا يثرثرون كثيراً في حق إيڤان . كان منهم نقولا في بسكوف وفاسيلي البريء في موسكو كما كان ثمة آخرون بدون شك . « إذا كانت الأصوات البشـرية قد سكتت فإن الصلوات بدأت تصرخ عليك يا إيڤاشا !. ها هي ذي قطعـة من اللحم النيء خذها وكلها رغم اننا في الصوم الكبير . ذلـك لا شيء بالنسبة لك يا من تتغذى بلحم الإنسان ودمه . إن غضب الله وراءك . من أجل كل عذاب الحقته بالأبرياء في هذه الحياة الدنيا سيعاقبك بعشرة أمثاله في الجحيم . كعلامة ودليل اتنبأ لك انك عندما ستحاول أن تنزل الى الأرض ناقوس الثالوث المقدس سيقع حصانك ميتتاً . لقد أرسلت وراءك صواعق الله تبحث عنك وإنها ستجدك » .

يقال إن إيڤان وقع في الحيرة والقلق على يد قديس ضامر الجسم من بسكوف . فقد حاول أن يقترب من هذا المتقشف الهاذي ليحصل منه على بركته فهرب هذا فزعا أمامه . كان قد تجرأ على أن يرفع يده على مطران وأمر بخنق المتروپوليت على يد واحد من خدمه ولكنه لم يتجرأ على معاقبة أحد مجاذيب المسيح الذي كان يتألق بمعرفته لله . على أن من غير المؤكد مـع ذلك أن يكون إيڤان قـد خاف فعلا من لعنـة نيقولا البسكوفي . وقـد سقط حصانه ميتـا بالفعل عندما كان ينزل ناقوس الكاتدرائية ولكن ذلك لم يمنعه من أخذه ، بل إنه ملأ عدة عربات بكنوز الأديرة والكنائس أيضـا . ولم يكن خائفـا عندما كان غارقا في تدنيس